السيرورة النفسية -المحاضرة "2"

من المهم جدا نفهم سيرورة الفرد النفسية لمدى أهميتها في العلاج التحليلي الكلاسيكي والعلاج ذو المنحى التحليلي. فمعرفتنا لمنهج السير النفسي، يهدف إلى رسم بناء واضح لأحداث نفسية صادرة من شخص معين، فالعيادي يشرع من خلاله في تطبيق التفكير الافتراضي–الاستنتاجي منذ أول لقاء له مع المفحوص، إذ يلاحظ إماءات وسلوكات، عبارات، تصورات... والتي تثير فرضيات يسعى العيادي للبحث عن السيرورات الملموسة التي تؤكد وجودها أو تنفيها أدوات الفحص النفسي ليتسنى للفاحص الخروج باستنتاجات مدعمة ببراهين –قابلة للنقاش دائما–لكن قريبة كل القرب من الواقع النفسي.

فالسير النفسي للفرد يحكمه جمله من العمليات الاولية الخاضعة لمبدأ اللذة بحيث تعمل على تجنب التوتر والألم النفسي وتتجه نحو الاشباع الحالي للرغبات دون الاكتراث بالقيم والاحكام المنطقية بتاتا هذا من جهة.

ومن جهة أخرى عدد من العمليات الثانوية تكون الطاقة على مستواها مربوطة نتيجة خضوعها لمبدأ الواقع وتنتظم الحياة النفسية بمجموعه من المبادئ اهمها مبدأ الثبات الذي يعمل على الحفاظ على كميه الإثارة في أدني مستوى وعلى درجه ثابته من التوتر ومبدأ الاضطرار التكراري الذي يعمل على التخفيف من حده التجارب المؤلمة، والصدمات النفسية القاسية التي تشكل ضغطا داخليا وذلك من خلال تكرارها ومحاوله التحكم فيها. يشار أحيانا أخرى الى السير النفسي من وجهة النظر الموقعية ويقصد به التصور النظري الاول الذي اعطاه فرويد للجهاز النفسي حيث يتميز هذا الاخير بين الشعور وهو النظام الذي يقع على محيط الجهاز النفسي وهو الفاصل بين العالم الخارجي والانظمة الذاكراوية، وما قبل الشعور وتكون محتوياته لا شعوريه غير انها يمكن ان تصبح شعوريه بجهد بسيط وتكون الطاقة النفسية على مستواه مربوطة ومحكمه بمبدأ الواقع. اما اللاشعور فتكون مادته مرفوضة من طرف الوعي بحكم خضوعها لمبدأ اللذة فهي لا يمكن ان تكون شعورية اطلاقا أو تصبح كذلك بجهد كبير.

أما الموقعية الثانية فنقصد بها الاركان الثلاثة التي يتكون منها الجهاز النفسي: يمثل الهو خزائن الغرائز والرغبات التي تسعى نحو الاشباع بلا قيد او شرط ويمثل الان الاعلى وظائف المراقبة الذاتية والرقابة والضمير. في حين يمثل الانا القطب المكلف بضمان حفظ التوازن النفسي للفرد وذلك من خلال ايجاد صيغ تسويه ملائمه بين المتطلبات النزوية للهو ومقتضيات الأنا الاعلى. ويلجا الشخص حينئذ الى عدد

من الاليات الدفاعية بهدف المحافظة على توازنه النفسي غير ان لجوئه هذا قد يكون ناجحا فيفلح في استعاده توازنه وقد يكون مفرطا ومرضيا فيفشل في ذلك ويؤدي به الامر الى تفكك الشخصية وتلاشى تماسكها وتدهور تكاملها.

تختلف الميكانيزمات التي يستعملها الانا لخفض التوترات التي يواجهها تبعا لاختلاف الاصابات فقد يلجا للكبت بهدف التعامل مع القلق او الاسقاط من اجل تفريغ التوترات التي يشكل استمرارها ضغطا كبيرا على الأنا، أو النكوص للتجاوب مع الوضعيات الصادمة المفاجئة التي تجابهه بها الحياة والكف تجنب قصده حاشي المواقف التي تثير الضيق والاحراج.

من خلال ما سبق نستنتج ان الأنا يقوم بوظيفه الدفاع ويستعمل عده وسائل لأدائها تدعى بآليات الدفاع من بينها: الكبت، الاعلاء او التسامي، الانكار، الاسقاط، الكبت، النكوص، النقل والازاحة او التحويل ...

ويقصد بهذه الميكانيزمات الدفاعية أنها مختلف العمليات النفسية التي تهدف الى حفظ التوترات النفسية الداخلية الضرورية لضمان انسجام الجهاز النفسي.

ان منهج التحليل النفسي يبحث في السير النفسي للفرد ويعتمد على ثلاث نقاط أساسية (وجهات) وهي:

1. **النظرة الاقتصادية:**

ترى ان جهاز النفسي يقع بين البيولوجي والاجتماعي الثقافي، اذ هناك طاقة قابليه للزيادة والنقصان تنتقل بين كائن الجهاز النفسي الان هل هو الان الاعلى النظرة الاقتصادية هي نظره كميه للطاقة او القوة الموجودة داخل جهاز النفسي.

2. **النظرة الديناميكية:**

هي نظره مرتبطة بمفهوم الصراع، فركائز الجهاز النفسي في صراع دائم اي ان هناك نشاط متواصل والظواهر النفسية ما هي الا نتيجة لقوى متعارضة تؤدي للصراع النزوي بين هذه الركائز.

3. **النظرة الموقعية:**

هي عباره عن وصف نموذج لمختلف ركائز الجهاز النفسي وهذا لفهم التوظيف العقلي واقترح فرويد في البداية ما يسمى **بالموقعية الاولى** وتتكون من العناصر التالية:

- **الشعور** هو صفه آنية تميز الادراكات الخارجية والداخلية وهو جزء الوعي
- **ما قبل الشعور** يمثل العمليات والمحتويات الموجودة في اللاشعور الا انه يمكن استرجاعها الى الشعور مثل: الاحلام وفلتات اللسان أو الكتابة.

- **اللاشعور** هو مجموع من الخبرات والمحتويات غير حاضره في مجال الشعور الحالي. ويقول فريد في ذلك ان المحتويات المكبوتة التي تمنع من العبور الى نظام ما قبل الشعور بفعل الكبت غالبا ما تكون مرتبطة برغبات احداث ماضيه والتي لها علاقة بعقده اوديب، وتتحكم في هذه المحتويات المكبوتة مجموعه من ميكانيزمات الدفاع.

ثم عدل فريد الموقعية الاولى واقترح ما يسمى بالموقعية الثانية وتتمثل فيما يلي:

الموقعية الثانية:

استعمل فرويد في هذه الموقعية الثانية اللاشعور كصفه لم يعد اللاشعور ركيزة بل أصبح يصف به وكذلك يصف به جزئيا الانا والانا الاعلى وكذلك تخلى على ما قبل الشعور، وقال ان الانا والانا الاعلى يمثلان جزئيا ما قبل الشعور.

ركائز الجهاز النفسي:

الهو: يعتبر مصدرا للطاقة النفسية والحقيقة النفسية الواقعة داخل الفرد، خزان الغرائز والرغبات، إنه القطب النزوي للشخصية. الهو لا يفكر انما يشتهي ويرغب ويجري وراء تحقيق هدفه وهو اشباع الحاجات الغريزية فهو بذلك يخضع لمبدأ اللذة.

الأنا: يتولى الانا الدفاع عن الشخصية وتوافقها مع البيئة وحل الصراع بين الانسان والواقع او بين النزعات المتعارضة للإنسان بطرق عديده ولذلك فهو أداة للتكيف بين الدوافع الداخلية ومتطلبات الواقع الخارجي، ويمكن القول ان الانا عباره عن نظام معقد من العمليات النفسية التي تكون بمثابة الوسيط بين الهو والعالم الخارجي.

الانا الاعلى: انا الاعلى هو الجهاز الثالث من اجهزه الشخصية، يتكون هذا الجهاز منذ الطفولة وهو يمثل القيم والمعايير الخلقية من الشخصية التي يضعها الوالدين، فتكون هذه المعايير بغيه ارضاء والديه وتجنبه العقاب. كما انه يمثل الجزء المثالي بعكس الان الذي يلتزم بالواقع وبعكس له الذي لا هدف له سوى الحصول على اللذة.